الباب الأول

"السماء"

أولًا: النظام الشمسي

نعرف أن الشمس عبارةٌ عن نجم غازي متوسط الحجم تدور حوله الكواكب و(منها الأرض) وكذلك الكُوَيكبات والمُذنَّبات التابعة له لكن ما لا نعرفه أو نتصوره هو حجم النظام الشمسي.

المثال الآتي يساعدنا على فهم حجم النظام الشمسي (وللعلم هذا ما يدرس للأطفال في الدول الأجنبية).

فإذا افترضنا الشمس في حجم كرة القدم حينها تكون الأرض في حجم حبة الفلفل الأسود وتبعد عنها حوالي 22 متراً، أغمض عينيك وضع كره قدم في مكانٍ وتخيل حبة الفلفل التي تبعد عنها 22 متراً، وعلى بعد حوالي 900 متر رأس دبوس تمثل بلوتو، بينما ينتهي حدود النظام الشمسي- "حسب تعريف علماء الفلك" على بعد 3500 متر من كرة القدم التي تمثل الشمس (و هو آخر نطاق مجال جذب الشمس عند ما يسمى بسحابة أورت).[1]

ثانيا: مفهوم الضخامة والفراغ في الكون

من هذا المثال يتضح أنه لو النظام الشمسي- كله بحجم كرة ضخمة قطرها 7000 م "تقريبًا ثلاثة أحياء كاملة " وبارتفاع جبل" تحتوي فقط على كرة صغيرة وبضع حبات من الفلفل وحفنة صغيره من الرمال، فلك أن تتخيل حجم الفراغ داخل هذه الكرة، بل يمكنك أن تدَّعي أنها فارغة تقريبًا.

أما أقرب نظام نجمي للنظام الشمسي (ألفا قنطورس) ، فهو عبارة عن كرة أخرى تقريبًا بنفس الحجم، ولكن وعلى نفس المقياس تبعد عن الشمس حوالي 675 كم[2] (يعني كرة قدم في الأسكندرية وأقرب كرة لها تقريبًا في سوهاج) والباقي فراغ ثلاثي الأبعاد "يعني على هذا المقياس تكون كل المادة داخل جمهورية مصر عبارةً عن أربع أو خمس كراتِ قدمٍ وقبضة من الرمال ".

و على هذا لا يمكن لعقل بشر أن يتخيل - فضلًا عن أن يستوعب - مدى ضخامة مجرّتنا التي تحتوي على مائة مليار نجم تقريبًا. (المجرات هي أماكن تتجمع فيها ملايين النجوم بجوار بعضها وما بين تلك المجرات فراغ هائل الحجم.)

وعلى نفس النهج من البعد والفراغ والضخامة تقع أقرب مجرة. وتتجمع بضعة مئات إلى آلاف من المجرات في نظام يدعَى (المجموعة المحلية للمجرات).

وتنتظم الملايين من الأخيرة في تجمع يدعى الـ (كلاستر) والذي يتجمع الكثير منه فيما يسمى بالسوبر كلاستر "من آلاف إلى ملايين من الكلاسترات".

ضخامة مفزعة، ولكن كل ما يشغل هذا الحجم الضخم عبارة عن قدر صغير جدًّا من المادة (مقارنة بالحجم المهول) للكون.

و الأدهى من ذلك أنه عندما توجه نظرك إلى المقياس الأصغر تجد نفس التنظيم ونفس الفراغ، فكل ما نراه أمامنا من أجسام كسيارة أو لعبة أو كائن حي يتكون من ذرات متباعدة عن بعضها تقريبًا بنفس النسب السابقة ولولا حركتها السريعة جدًّا لأمكن لذرات جبال الهيماليا لو تراصت بجوار بعضها أن تشكل حجمًا أقل بكثير من رأس الدبوس، أما الأكثر إذهالًا من ذلك أنه يمكن تطبيق ما طبّقناه على النظام النجمي على الذرة نفسها إذا تم تكبيرها لبلايين بلايين المرات، فحجم الذرة نفسه كبير جدًّا إذا ما قورن بالنواة والإلكترونات التي تشغل حيزًا ضئيلًا جدًّا من ذلك الحجم والباقي فراغ كبير، (طبعًا إذا صغرنا المقياس جدًّا).

مما دعا بعضَ العلماء للقيام بحسابات تستنتج أنه حسب نظرية الانفجار العظيم فإن كل المادة والطاقة الموجودة في الكون الآن كانت تتجمع في جسم كثيف جدًّا "بدون أي فراغ" في حجم مكعب السكر قبل الانفجار.[3][9]

النظام الشمسي

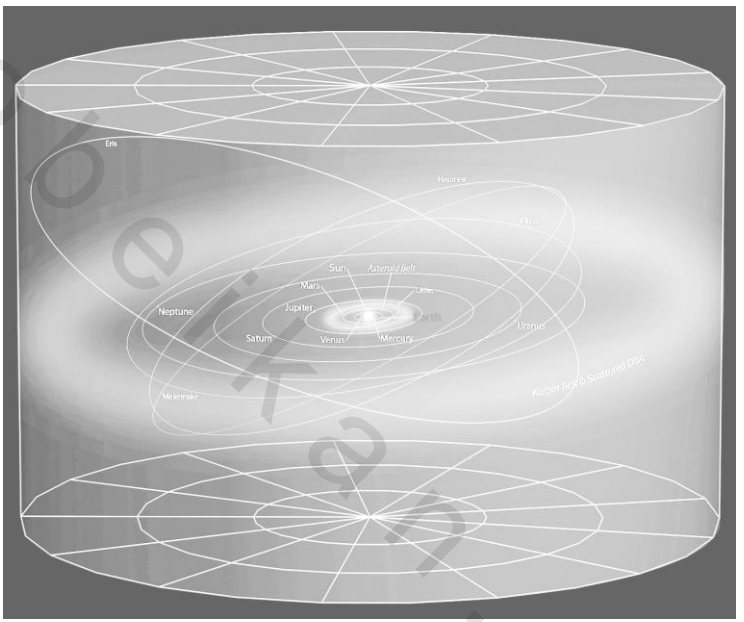

شكل 1: هذا الشكل يوضح النظام الشمسي، نلاحظ أن الشمس هي النقطة البيضاء في المنتصف أما باقي الكواكب لا يمكن إيضاحها حتى كنقاط صغيرة فيكتفي بمجرد الإشارة لمواقعها.لاحظ حجم الفراغ في الشكل.[4]

obeikan.com

المجموعة النجمية المحليه

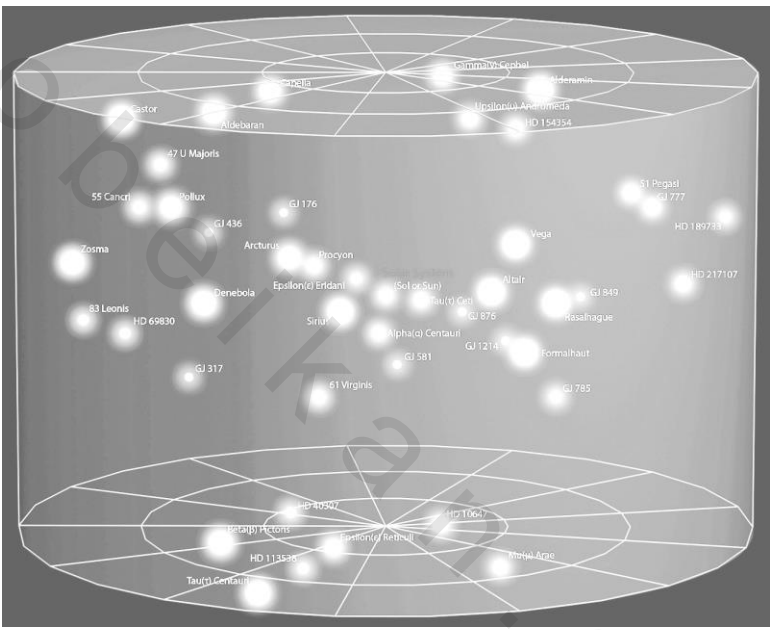

شكل 2: هذا الشكل يوضح المجموعة النجمية المحلية للشمس وكل نقطة عبارة عن نظام نجمي كان يمثله الشكل رقم 1كله وليس مجرد النجم. [4]

obeikan.com

مجرة درب التبانة

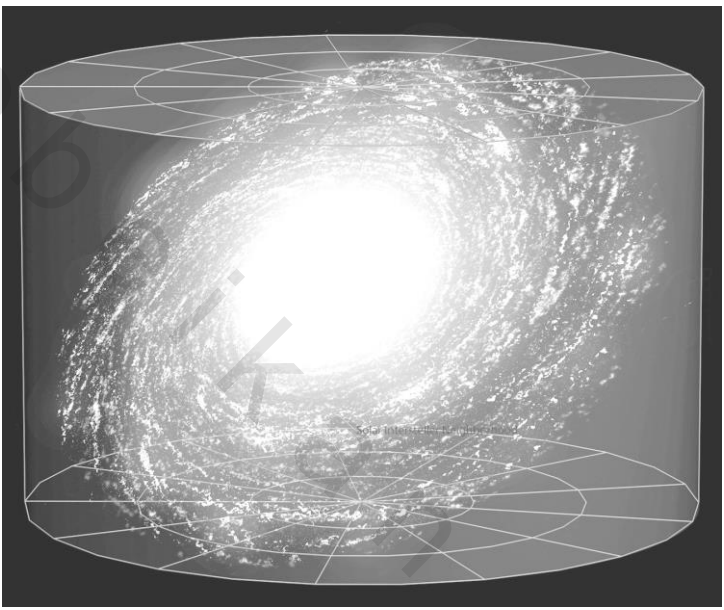

شكل3: هذا الشكل يوضح مجرتنا "درب التبانة"و كل بقعة صغيرة تمثل مجموعه نجمية محلية كان يمثلها الشكل رقم 2 كله وجدير بالذكر أن مجرتنا تحتوي على 100000000000 نجم على أقل تقدير. [4]

المجموعة المحلية لمجرتنا

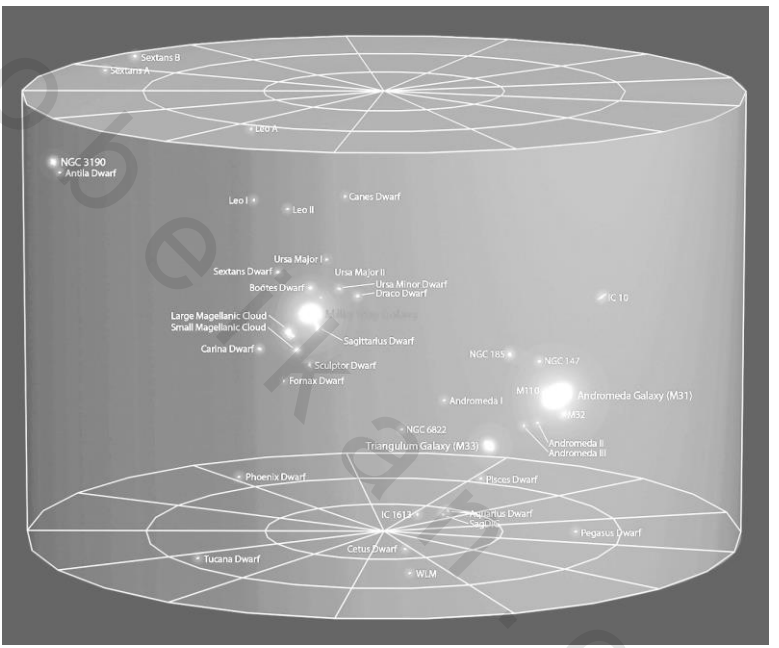

<u>شكل 4:</u> هذا الشكل يوضح المجموعة المحلية لمجرتنا وكل بقعة تمثل مجرة كان يمثلها الشكل رقم 3. [4]

كلاستر المجرات

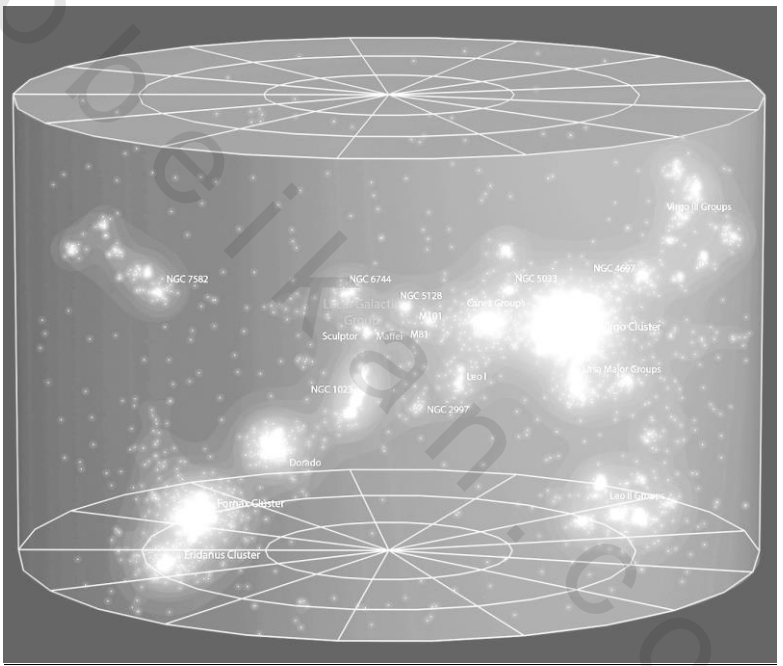

شكل 5: هذا الشكل يوضح كلاستر المجرات وكل بقعة تمثل مجموعة محلية للمجرات كان يمثلها الشكل رقم 4. [4]

السوبر كلاستر للمجرات

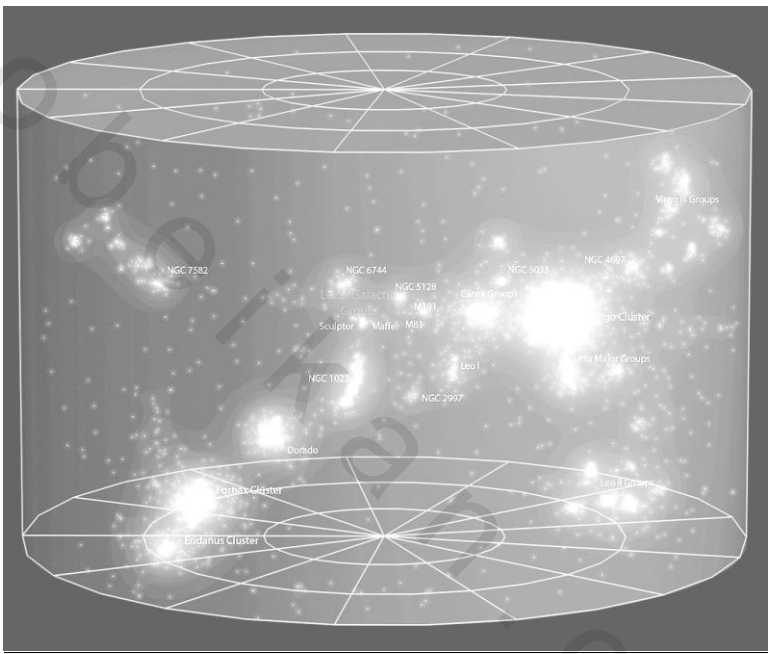

شكل 6: هذا الشكل يوضح السوبر كلاستر للمجرات وكل بقعة تمثل كلاستر من المجرات كان يمثله الشكل رقم 5. [4]

ما نستطيع ادراكه في الكون

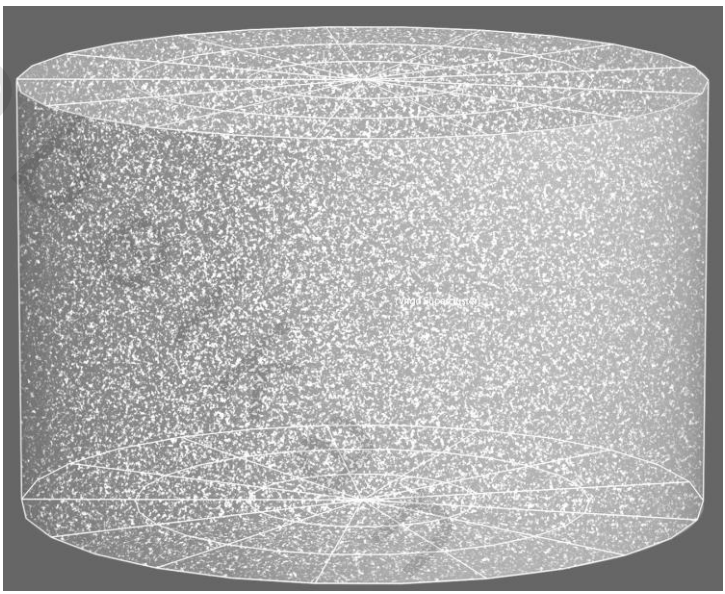

شكل 7: هذا الشكل يوضح الكون المنظور وكل نقطة عبارة عن سوبر كلاستر من المجرات كان يمثله الشكل رقم 6 وجدير بالذكر أن الكون المنظور يحتوى علي 100000000000 مجرة (حولي عشرة آلاف مليار مليار نجم).

أرجو من القارئ أن يتخيل أن كل بقعة مضيئة في شكل من الأشكال السابقة كانت تمثل فراغًا كبيراً في الشكل السابق له بالإضافة إلى الفراغ ما بين النقاط المضيئة في الشكل نفسه لنتخيل حجم الفراغ في الكون. [4]

ثالثا: السماء والسماوات في القرآن

القرآن دقيق جدًّا في ألفاظه ولا توجد مترادفات أبدًا بينها، فاللفظ في مكانه، ولا يمكن أن يستبدل به غيره، والقرآن محدد جدًّا حينما يضع لفظ السماء أو لفظ السماوات، فلا يمكن أن تحل إحداهما محل الأخرى في موضعها ، وعند استعراض السياق لكل كلمة منهما نجد الآتي:

أولًا لفظ السماء نجد الله يستخدمه حينما يريد أن يعبر عن:

1: منزل المطر، أو العذاب، أو الرزق، أو الوحي، أو الآيات المعجزة. ومن أمثلة ذلك:

-" وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً " "البقرة 22".

-"أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ " "البقرة: 19."

-"وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ .﴿﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ " "الذاريات: 22، 23".

-"هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ " "غافر: 13".

-"يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ""النساء153"

2: بها بروج وزينة لمن ينظر إليها، وفي آيات أخرى يقول إن السماء الدنيا زُيِّنت بالكواكب والمصابيح، وحفظت من كل شيطان مارد.

والشياطين كانوا يقعدون منها مقاعد للسمع، والشياطين لمسوها فوجدوها ملئت حرسًا شديدًا وشهبًا.

وجعل الله بها بروجًا، وسراجًا (مفردًا) وقمرًا منيرًا (مفردًا أيضًا).

- " إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ " "الصافات 6"

- "وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ" الحجر 6".

-"وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا" الجن8"

3: وصفت بالبناء، والسقف المحفوظ، ويمسكها الله أن تقع على الأرض (و لكن الآيات كانت في سياق نِعَم الله على الإنسان).

- "وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ" " الأنبياء32"

4: تُطوَى و تَشَقَّقُ بالغمام وتقوم بأمر الله وتمور مَورًا وانشقت فكانت وردة كالدهان، وتكون واهية، وتكون كالمُهْل، وتفرج وتفتح كالأبواب وتكشط و..... يوم القيامة.

- "يَوْمَ نَطْوِي السّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ " الأنبياء 104"

- "وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلا" "الفرقان25"

- وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ""الروم 25"

- "يَوْمَ تَمُورُ السّمَاءُ مَوْرًا" "الطور9"

5: مفرد سماوات.
- فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا. وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا* ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ" فصلت "12"

6: وصفت بذات الرجع.
- "والسماء ذات الرجع"" الطارق 11"

7: حتى الآيات التي تتكلم عن إحاطة علم الله فيها إنما تتكلم في سياق يتعلق بأعمال أو رزق أو أقدار الإنسان.

*رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شيءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ" " إبراهيم 38"

*قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ" "الأنبياء 4"

* إِنَّ اللَّــهَ لَا يَخْفَــى عَلَيْــهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّــمَاءِ" "آل عمران 5".

ثانيًا لفظ السماوات نجد الله يضعه حينما يريد أن يعبر عن:

1: إحاطة علم الله بكل شيء.

*"إن الله يعلم غيب السماوات والأرض والله بصير بما تعملون " "الحجرات 18".

2:ملك الله لكل شيء.

* أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دون الله مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ" "البقرة 107".

3:عظم قدرة الله في الخلق.

*"لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ الناس لَا يَعْلَمُونَ""غافر57".

4:فيها وفي خلقها آيات للمتدبرين وأولي الألباب.

*"إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ" "آل عمران 190".

5: الساعة ثقلت في السماوات والأرض.

* "يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ" "الاعراف187".

6: السماوات والأرض كانتا رتقًا ففتقهما الله.

*أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ""الأنبياء 30".

7 : الله قائم على شؤونها ويُمسكها أن تزول.

*اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حفظهما وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ "البقرة 255".

8:يوم النفخ في الصور يفزع ويصعق كل مَن فيها.

"وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ " النمل87 ".

9: السماوات مطوياتٌ بيمين الله يوم القيامة.

* "وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَـدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًـا قَبْضَـتُهُ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ* سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَـمَّا يُـشْرِكُونَ""الزمر 6".

10: يسبح له كل شيء فيها.
"تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّـبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَـنْ فِـيهِنَّ وَإِنْ مِـنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَـانَ حَلِـيمًا غَفُـورا" "الإسراء 44".

11: عددها سبعٌ.
" اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ " "الطلاق: 12".

12: تُبدَّل يوم القيامة.
"يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّـارِ" "إبراهيم 48".

13: طِباقٌ.
" أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا" "نوح 15".

رابعًا حدود السماء

بعد هذا الاستعراض المختصر للمشاهد من تنظيم السموات علميّا وفلكيّا وكذلك للواضح من توظيف الله للفظي السماء والسماوات (والله أعلم بمراده) نلحظ ما يأتي.

أولًا: دائمًا نجد لفظ السماء يستخدم فيما يختص بالإنسان (من مطر ورزق وعذاب... إلخ) وكذلك الشياطين.

ثانيًا: يقول الله إن السماء بها سراج - بالمفرد - وقمر منيراً بالمفرد.
ثالثًا: يقول إنها زينت بزينة الكواكب

ألا يدل كل ذلك على أن لفظ السماء يدل على السماء الدنيا؟
ويشير الله عز وجل إلى كل السماوات السبع حينما يقصد عظمة الخلق وبلاغة القدرة وإحاطة العلم فيأتي بلفظ السماوات.
وإن كانت كذلك هل لنا أن نتساءل عن حدود السماء الدنيا؟

أكاد أجزم أن الكون المنظور بالعين المجردة يتعدى السماء الدنيا لما بعدها من سماوات للأسباب الآتية:

1: يطالبنا الله بالتفكر في خلق السماوات، وهل نطالب بالتفكر في غيب؟؟ أم طالما كان علينا التفكر في خلقها إذًا لابد أنه يمكننا مشاهدتها ومراقبة خلقها وعلى هذا يمكننا التفكر فيها. (لاحظ أننا لم نطالب بالتفكر في خلق العرش أو الجنة أو النار وأي غيب).

لاحظ أيضًا أن المطالبين بالتفكر في خلق السماوات هم كل المسلمين من عصر الرسول وحتى يوم القيامة، إذًا هي مما يُدرَك للناظر بدون الحاجة للمراقب المجهزة، والعمدة في هذا الاستدلال قولُ الله في سورة "الملك الآية 3" " الذي خلق سبع سماوات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر- هل ترى من فطور". فبقول الله "ترى" وبتأكيده بقوله "ارجع البصر"، لابد أن السماوات السبع كلها يمكن إدراكها بحاسة البصر العادية.

2: قول الله " تبارك الذي جعل في السماء بروجًا وجعل فيها سراجًا وقمرًا منيرًا" "الفرقان 61" يقضي بأن كل النجوم ما عدا الشمس (حيث إن كلها سرج) خارج نطاق سمائنا الدنيا.

3: لمس الشياطين للسماء، ومما نعلم من سورة النمل أنه مهما كانت قدراتهم كبيرة بالنسبة للبشر- فتبقى محدودة بالنسبة لضخامة الكون، فنحن نعلم أن أقرب نجم يبعد حوالي 4.5 سنة ضوئية من الأرض (حتى لو كان الشياطين يستطيعون السفر بسرعة الضوء "وهذا مستحيل" فيستغرق ذلك منهم تسعة سنوات للذهاب والعودة لأقرب نجم، أما الذهاب والعودة لأقرب مجرة فيستغرق نصف مليون سنة).

قد يقول البعض ما لنا وللجن، فالله قد يعطي بعض خلقه قدرات تفوق ما نتصوره حسب العلم، ولهذا السبب بالذات

استشهدت بآيات سورة النمل، فلو رجعنا للمقياس الصغير الذي استخدمناه في شرحنا لحجم النظام الشمسي- يتبين لنا أن الذين يتجادلون في زمن الوصول لبعض ملليمترات من أجزاء حبة الفلفل (من الشام وحتى اليمن) يكون الوصول لمسافة 700 كم (من النظام الشمسي وحتى أقرب نظام نجمي) مستحيل التصور بالنسبة لهم.
كما أنه من الصعب تصور أن الذي عنده علم من الكتاب هو من يسترق السمع عند حدود السماء الدنيا.

من الأسباب الثلاثة السابقة نستنتج أن ما نراه بأعيننا يتعدى السماء الدنيا لما بعدها من سماوات.

إذا هل القرآن يعطي أي خيط يمكننا من التعرف على حدود السماء الدنيا؟
نعم فعل، فالقرآن مليء بالخيوط التي تشير إلى حدود السماء الدنيا، فهو لم يذكر اسم السماء مفردًا إلا وله عَلاقة بالإنسان من رزق أو عذاب أو آية. وقال الله عن السماء الدنيا إن بها بروجًا وسراجًا مفردًا وقمرًا منيرًا مفردًا ووصفت السماء الدنيا بأنها زينت بزينة الكواكب.

لذا نستنتج من ذلك أن حدود السماء الدنيا هي حدود النظام الشمسي حيث حيث إن كل صفات السماء في القرآن تتحقق له:

ففيه سراج وهو الشمس وقمر منير، "أما باقي التوابع للكواكب (الأقمار الآخرى) فليست منيرة"، كما أن النظام الشمسي- يحتوي على كواكب، ثم إن كل رزق الإنسان معتمد على الشمس، فضلًا عن أن الشهب التي تحرق الشياطين ما هي إلا كُوَيكبات في النظام الشمسي احترقت عند اصطدامها بالغلاف الجوي للأرض، كما أن النظام الشمسي في حدِّ ذاته مسافة كبيرة للشياطين كي يصلوا إلى حدوده، فحتى لو كانوا يستطيعون السفر بسرعة الضوء سيستغرق منهم الوصول حتى حدود النظام الشمسي حوالي 21 ساعة ومثلها للعودة كي ينقلوا خبراً لكاهن أو ما مثله قبل بعثة الرسول

تأمل قول الله تعالى في سورة النحل الآية 12 " وسخر لكم الليلَ والنهارَ والشمسَ والقمرَ (صلى) والنجومٌ مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون".

فالآية تقرر أن الليل والنهار والشمس والقمر مسخراتٌ للإنسان، وبعد ذلك وقفٌ كافٍ ولم يعطف النجوم على الشمس ولا القمر، بل ابتدأ إنشاءَ جديدًا بأن النجوم مسخرة بأمر الله، وذلك حسب قراءة حفص وهي قراءة متواترة وتؤخذ منها الأحكام.

فالنجم الوحيد الذي ذكر أنه مسخر للإنسان (حسب قراءة حفص) هو الشمس، وذيلت الآية بأن في ذلك لآية لمن يعقل. فالفرض بأن النظام الشمسي هو السماء الدنيا يتسق مع الآيات التي تعتبر

السماء غاية كلِّ ما يتعلق بالإنسان من رزق وعذاب ومطر وخلافه، ولأن مكوناته مسخرة لتحقيق هذه الغايات.

لكن يجدر بنا أن نقول إن من القراءات الأخرى من يعطف النجوم على الشمس والقمر في التسخير للإنسان، فماذا عن هذه القراءات؟

وماذا عن الآية 13 من سورة الجاثية "و سخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه ۚ إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون"؟

سوف أترك القرآن يجيب عن هذا التساؤل، فبعد خمس آيات من آية سورة النحل يقول الله في الآية ال 17 "و علامات وبالنجم هم يهتدون".

و لنتأمل ما جاء في سورة الأنعام الآية 97 "و هو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون". يقول الله إن ذلك تفصيل الآيات يا من تعجبتم من اختلاف القراءات في سورة النحل وما جاء في سورة الجاثية، ها قد فصَّلناها لكم، فالنجوم نعم مسخرة ولكن لتهتدوا بها إمّا معنوياً بالتفكر في خلقها أو مادياً في ظلمات البر والبحر، ولا صلة لها بما ذكر من عَلاقة السماء بالإنسان من رزق ومطر وعذاب وخلافه،

فذلك من شَأن الشمس والقمر ودوران الأرض حول محورها مما يسبب الليل والنهار.

لقائل أن يقول إن العلماء اكتشفوا أيضًا كواكب للأنظمة النجمية الأخرى، ولأني أتفق معه ومع تأمل ما سبق وشرحنا عن التنظيم الفلكي للكون المنظور وأن الشمس والأرض ليستا حالات متفردةً في الكون، أجدني مدفوعًا لاستنتاج أن لفظ السماء الدنيا إنما يعبر عن اسم جنس لكل نظام نجمي (تمامًا كالنظام الشمسي). فتصوّري يقضي بأن السماوات السبع هي طباق، ولكنها ليست متَّحدة المركز، فكل سماء ثانية بها العديد من جنس السماوات الدنيا، وكل سماء ثالثة بها العديد من جنس السماوات الثانية التي يحتوي كل منها بدوره على العديد من السماوات الدنيا وهكذا حتى نصل إلى السماء السابعة.

لكن ما هي حدود السماء الثانية (لسمائنا الدنيا)؟ لا توجد أدلة دينية كثيرة عندي بهذا الخصوص، ولكني اعتمادًا على المشاهدات العلمية لتنظيم الكون المنظور أعتقد أنه حدود المجموعة النجمية المحلية للشمس "شكل2" (تبعًا لآخر تصنيف فلكي، حيث تتجمع الأجرام السماوية في مجموعات محددة متشابهة وتدور حول نفسها وتنتظم كل من هذه المجموعات في كيانات أكبر ثم أكبر). ثم المجرة كالسماء الثالثة "شكل3" (وعلى هذا التصور تحتوي السماء الثالثة "المجرة" على 10 مليون سماء

ثانية" مجموعة نجمية محلية")، والسماء الرابعة هي المجموعة المحلية من المجرات "شكل4"، ثم كلاستر المجرات كالسماء الخامسة "شكل5"، ثم السوبر كلاستر السادسة "شكل6"، وباقي حدود الكون المنظور كالسابعة "شكل7".

obeikan.com

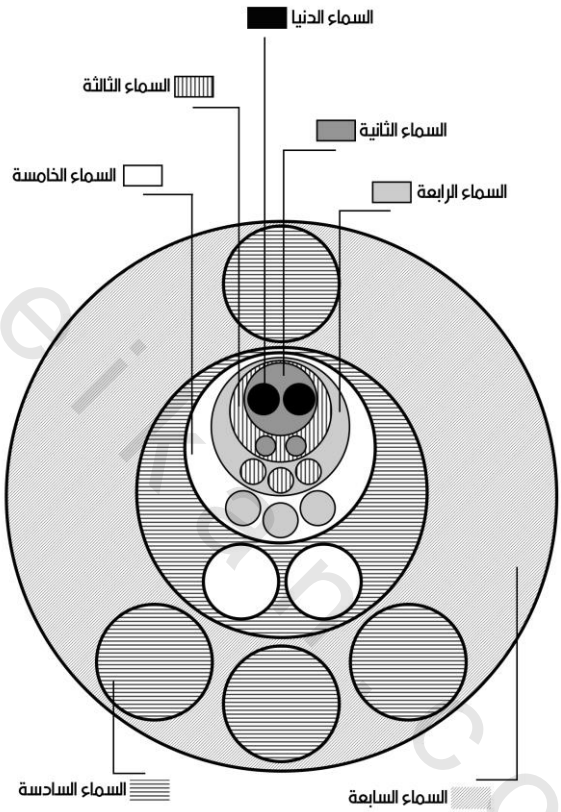

شكل 8: الشكل التالي يوضح رمزيا ما شرحناه وأن مسمى كل سماء إنما يعود لجنس هذه السماء وليس لسماء، محددة واحدة مع

الوضع في الاعتبار أن كل سماء تحتوي على عدد مهول من جنس السماء الأصغر منها، ولكن هذا الشكل لإيضاح الفكرة فقط.

وبخلاف حالة السماء الدنيا حيث كان الاعتماد الأكبر في تصور حدودها على ما ذكر في القرآن الكريم فتصور حدود السماء الثانية وما بعدها محتمل جدًّا أن يتغير تبعًا للاكتشاف العلمي لتصنيفات نجمية أخرى (طالما كان معتمدًا على العلم المتغير، وليس على الدين الثابت).

لكن هدفي أن نتفكر تبعًا لما وصلنا إليه من العلم كي نؤدي المطلوب من أمر الله لنا بالتفكر ونجني ثمار ذلك بتقديرنا لعظمة الخلق وقدرة الخالق، بغضِّ النظر عمّا ستكشفه الأيام لغيرنا فلا يصح أن نترك التفكر مطلقًا بحجة أننا لن نصل أبدًا إلى ذروة العلم.

وتشبه كل سماء من هذه السماوات (في الحجم والشكل) بالنسبة للتي تليها تبعًا للقياسات العلمية الدقيقة كحلقة صغيرة ملقاة في صحراء (ولماذا حلقة بالذات لأن كلًّا منها يدور حول الكيان الأكبر منه في مدار منتظم يشبه تمامًا الحلقة).

و هنا يجدر بنا ذكر حديث الرسول صلى الله عليه وسلم عندما قال لسيدنا أبي ذر الغفاري في حديث أورده الألباني في السلسة الصحيحة : "ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحَلْقة ملقاة بأرض فَلَاة, وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة"، يا لدقة التشبيه، ويا لعظمة خلق الله فعلى هذا الحديث بعد السماء السابعة (وهي حدود الزمان والمكان وقوانين الطبيعة المعروفة لنا)، يوجد الكرسي والله وحده يعرف على ماذا يحتوي من خلق الله بخلاف السماوات السبع، وبالرغم من هذا فهو ضئيل جدًا إذا ما قورن بالعرش وهو ما وصفه الله بالعظيم والمجيد.